"..... كلاّ! فإن هذه اليقظة الحسيّة لتصاحبها يقظة في الشعور الباطني، تسري به في كل مسرى وتنفذ به إلى كلّ منفذٍ وتترجم العواطف والأخلاق كما تترجم المناظر والألحان".

نفهم من هذا، أن الصّور الشعرية، تحتاج -فضلاً عن الحسّ الظاهر- إلى نشاطٍ داخليٍّ يساعد الشاعر على إدراك ظواهر الأشياء وبواطنها، لتحويلها إلى صورةٍ واعيةٍ تدسّ في ثنايا حسّيتها أفكاراً وخواطر، وتعكس، في الوقت نفسه، حالةً نفسيّةً وجدانيّةً، وإدراكاً ذهنيّاً؛ لأن التصوير في الشعر هو عملية ضبطٍ للوجود الظاهر والوجود الباطن وجعل هذه العوالم تدرك بالحسّ، بالحدس، بالعقل، بالرؤيا..."[١٧٤].

وسنرى وشيكاً أن هذه العملية الباطنية تتطلّب ملكةً خالقةً، قادرةً على التشخيص الشعوري، وهذه القدرة مستمدّة، من باعثين نفسيين هما: "سعة الشعور ودقّته".

على أن العقاد -في نظرنا- بهذه المزاوجة بين اليقظة الحسيّة واليقظة الباطنية طمس ظاهر الحقيقة وإلغاء "الوعي الظّاهر" باسم "الوعي الباطن" كما يزعم بعض الغلاة من المصورين، ولَئِنْ كان الناقد يقصد ههنا فنّ التصوير أو الرّسم، فإنه يرى أن عَدْوَى هذا الوعي قد أصابت فنوناً أخرى، ولا نستبعد أن يكون من ضمنها فن القول بعامّةٍ والصور الشعرية بخاصةٍ؛ "والخطأ هنا أن "الوعي الباطن" لم يلقِ ليلغي الوعي الظاهر أو يمنعنا أن نرى الدّنيا، ولكنه خلق ليظل وعياً باطناً حيث هو في قرارة الضّمير، نستدلّ عليه بعلاماته التي تتّفق عليها الأنظار، ومامن أحدٍ يبني بيته أو يطبخ طعامه، أو يخيط ملابسه، أو يحضّر دواءه، على مايتصوره هذا وذاك وأولئك في وعيهم الباطن الزعوم.... فلماذا يتغيّر وجه الإنسان لأن له وعياً باطناً، أو لأنّ المصوّر له وعيٌ باطنٌ، أو ما يزعم من هذا الهُراء"[١٧٥].

ومهما يكن من أمرٍ، فإن العقاد لا يرمي "بالوعي الباطن"، كلّه، سيّما إذا كانت له علامةٌ تتّفق عليها الأنظار، ودلالةٌ قلّما يختلف فيها اثنان؛ ذلك أن "علم النفس المعاصر يقرّ بأن في ذهن الإنسان تكمن الصور والمشاعر في منطقةٍ لا واعيةٍ، لكنها تومض لصاحبها بطريقةٍ عفويّةٍ، تحت ضغط الإنفعال

---

(١٧٤) عصاف، ماسين، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ص: ٢٧.
(١٧٥) العقاد، عباس، يسألونك، ص: ٦٣.